

مفارقة العنوان في قصص زكريا تامر

د. أرشد يوسف عباس

مدرس

جامعة كركوك / كلية التربية

الملخص

تعد المفارقة تعبيراً لغوياً ، تسمح للكاتب بالدخول إلى عالم النص الأدبي ، وتؤدي مجموعة كبيرة من الوظائف التي تختلف مستوياتها من نص إلى آخر . مما جعلها آلة فعالة ومفتاحاً جوهرياً من مفاتيح النص ، إذ لا يمكن إدراك طبيعة النص الأدبي ودلالاتها من دون فهم مصطلح المفارقة واستيعاب ردودها .

ويتضمن العنوان في صياغاته المتعددة إعلاناً عن طبيعة النص ، وتأتي المفارقة لتضفي عليه صبغة تتضافر مع السياق اللغوي لتثير الابتسامة والسخرية .

المقدمة

الحمد لله الذي كان في خلقه عجباً، وأنزل قرآناً عجباً، شهدت به الإنس والجن، وأقام الدنيا وفق قانون (فَلَمَّا أَحْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أشد ما يحيرني وأنا أقرأ لزكريا تامر ذلك النظام الجميل الذي بنى عليه قصصه، فقد اعتمد أسلوب السهل الممتنع، إذ كانت مفارقة في حدٍ ، تُضاف إلى مفارقات كثيرة تميز بها الكاتب، بعد ان كانت حياته مفارقة هي الأخرى ، فهو الذي اشتغل بالحدادة فتخرج منها أدبياً يشار إليه بالبنان، بعد أن خذلته مدرسته فتركها وهو ابن الثالثة عشرة من عمره، عرف بالتمرد على قوانين العيش في مجتمعه، فاستعرت كتاباته ناراً تصهر الأبواب الفولاذية ليبين ما وراءها ويتعرى جسد وسم بالجوع والسياط وأشياء أخر ، أراد أن يجعل من كتاباته دموعاً تنزل دواء مخففاً على آلام الناس الذين أحبهم، ذلك هو زكريا تامر، حاول نبش القبور وإخراج أسرارها ونشر غسيلها أمام الناس لعلهم يستيقظون على واقع مرّ صنعته أيديهم ونحتته عقولهم بعدما رفضت بإصرار غريب تغيير الواقع الذي تعيشه، لقد مثلت قصص زكريا تامر (حياة غمنا فيها لقمة العيش بالدموع والدم)، (يتناوشنا الفقر تارة والجهل مرة أخرى)، و(المرض الثالثة)، و(سهام الأعداء مرات أخرى)، وكأننا نقرأ ما كتبه زكريا قبل عقد من السنين فنظنه يكتب عنا اليوم ، ولأجل هذا اخترت موضوع المفارقة في عنوانات قصص زكريا تامر، وقد اشتمل البحث على تمهيد ذكرت فيه نبذة مختصرة عن حياة زكريا تامر، ومجاميعه القصصية، ثم تناولت بشيء من الإيجاز تعريف المفارقة، مستعينا بعدد من أقوال النقاد فيها وكذلك عرفت العنوان، وتطرقنا إلى أهمية الدور الذي يشغله في كتابة النص بوصفه عتبة لا يمكن الاستغناء عنها في أي نص أدبي وقد تكون مرآة دالة على فحوى النص على نحو عام ، و تناولت في متن البحث مفارقة العنوانات في قصص زكريا تامر، واعتمدت في ذلك على تحليل العنوان وذكر الدلالات التي خرج إليها ومكمن المفارقة فيها. وانتهيت في بحثي إلى خاتمة بينت فيها عددا من النتائج التي خرجت بها ، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع.

وختاماً لا يسعني الا أن أشكر كل من ساعدني في كتابة البحث بأرائه وأفكاره داعياً الله عزّ وجل أن يوفق الجميع لحبه ورضاه. والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

زكريا تامر

ولد زكريا تامر في حي (البحصة) (١) أحد أحياء (دمشق) عام (١٩٣١)، ترك المدرسة وعمره ثلاثة عشر عاماً ليشغل في مهن كثيرة ويستقر بعدها في مهنة الحدادة، فأصبح حداداً ماهراً في معمل لصنع الأقفال (٢)، ولم تمنعه مهنته من الكتابة فصار كاتباً مشهوراً، بدأ بكتابة القصة القصيرة عام (١٩٥٧) وهو لما يزل يعمل في المطرقة والسندان، وقد اضطر الى ترك عمله عام (١٩٦٠) بسبب ظروف اقتصادية مرّت بها البلاد، إذ عمت البطالة وأغلقت أكثر المعامل، وفي العام ذاته ظهرت له أول مجموعة قصصية (سهيل الجواد الأبيض)، وتبنت طباعتها دار (مجلة الشعر) ثم تلتها مجموعة (ربيع في الرماد) عام (١٩٦٣) و(الرعد) عام (١٩٧٢) و(دمشق الحرائق) عام (١٩٧٣) و(النمور في اليوم العاشر) عام (١٩٧٨) و(نداء نوح) عام (١٩٩٤) و(سنضحك) عام (١٩٩٨) و(الحصرم) عام (٢٠٠٠) و(تكسير ركب) عام (٢٠٠٢)، وقد قامت دار (رياض نجيب الرئيس) في عام ١٩٩٤ بإعادة طبع (المجموعات الست) الأولى ثم أكملت فيما بعد طبع الباقي. ولم يكتف زكريا تامر بكتابة قصص الكبار وإنما قام بكتابة قصص موجهة للأطفال منذ عام ١٩٦٨، وقد صدر له (لماذا سكت النهر) و(قالت الوردة للسنونو) و(بلاد الأرناب) و(يوم بلا مدرسة) (٣). كما نشرت له مجموعة من المقالات، توظف في عام (١٩٦٠) في وزارة الثقافة والإرشاد القومي، وفي عام (١٩٦٣) أصبح مسؤولاً في مجلة (الموقف العربي) الأسبوعية وفي عام (١٩٦٥) عمل في مديرية النصوص في تلفزيون جدة بالمملكة العربية السعودية، كما عين في عام (١٩٦٦) في مراقبة الكتب في وزارة الإعلام السورية، ثم مديراً للنصوص في التلفزيون العربي السوري، بعد ذلك تفرغ للعمل في اتحاد كتاب العرب الذي كان احد مؤسسيه، ورأس تحرير دوريته الشهرية (الموقف الأدبي) وعمل أيضاً رئيساً لتحرير مجلتي (أسامة) للأطفال و(المعرفة) الصادرتين عن وزارة الثقافة السورية. وترجمت أعماله القصصية الى الانكليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية والبلغارية والروسية والألمانية (٤).

مفهوم المفارقة في اللغة

المفارقة في اللغة ، اسم مفعول من (فارق) وجذرها الثلاثي (فرق) لا يخرج مفهوم المفارقة في اللغة عن معنى الفصل والتفريق ما بين الشئين ، فيقول الجوهري تحت مادة (فرق) " فرقت بين الشئين افرق فرقا وفرقانا . وفرقت الشئ تفريقاً وتفرقة ، فان فرق وافترق وتفرق . والفرقان : القرآن ، وكل ما فرق به بين الحق والباطل فهو فرقان(٥). ويقال فارق الشئ مفارقة وفرقاً أي باعده ، والفرقة بالضم أي التفريق بين الشئين(٦).

نفهم مما تقدم أن دلالة الاصل اللغوي لفرق تؤكد مدلولاً واحداً ، هو الانقسام والتباعد ، وان معنى (المفارقة) اسم لمفعول من فاعل ، قد جاءت معنى الترك والتباعد بين شئين غير منسجمين ، بحيث يستحيل الجمع بينهما بعد تفريقهما ، وذلك بفعل فاعل ، وصفة التفارق حصلت بفعل قوى خارجية مسلطة كالتفريق بين الرجل والمرأة ، وكذلك كفرقان الحق عن الباطل(٧).

المفارقة في المفهوم الاصطلاحي :

المفارقة مفهوم قديم منذ عصور الأدب القديمة . يشير إلى أن هذا المصطلح ظهر أول مرة عند الإغريق ، إذ وردت كلمة (ايرونييا) وتعني التصنع والادعاء والاختفاء تحت المظهر الكاذب في جمهورية أفلاطون ، فقد أطلق الكلمة على سقراط واحد من الذين كان يهاجمهم ، لأنه اظهر نفسه بصورة الرجل الجاهل الذي يسأل الآخرين عن أشياء بداعي عدم المعرفة بها ساعياً الى

الوصول إلى مراده (٨). فالمفارقة على ما يبدو كانت تفيد نوعاً من الأسلوب الذي يستخف الناس ، وهي نمط أسلوبى يقوده إلى استعمال اللغة استعمالاً مخادعاً (٩).

ومع تطور اللغة والمجتمع والفكر أصبحت المفارقة شكلاً بلاغياً تقوم على ضروب من السخرية والمجازات والكناية الى غير ذلك من الصيغ التي تتضافر مع السياق اللغوي على نحو يستثير القارئ ويدعوه الى رفض معناه الحرفي لمصلحة المعنى الخفي على أساس "تعبير لغوي بلاغياً يرتكز أساساً على تحقيق العلاقة الذهنية بين الألفاظ أكثر مما يعتمد على العلاقة النغمية او الشكلية ، وهي لا تتبع من تأملات راسخة ومستقرة داخل الذات فتكون بذلك ذات طابع غنائي او عاطفي ، ولكنها تصدر أساساً عن ذهن متوقد ووعي شديد للذات بما حولها" (١٠) فهي ليست قولاً ، بل لعبة لغوية يوظف فيها الكلام ، ويجتمع فيها أكثر من عنصر ، تشمل عنصراً يتعلق بالمغزى وهو مقصد القائل ، وتشتمل كذلك على عنصر لغوي بلاغي هو عملية عكس الدلالة .

لقد اختلف النقاد والدارسون في تعريف مصطلح المفارقة ، إذ يستصي على الدارس ان يقف على كل التعريفات . لذا وجدنا ان نقف على تعريف يجمع في طياته معنى واضحاً يسمح للقارئ بإطلاق التأويلات المتاحة والوقوف على الدلالات الجمالية على نحو يقوده إلى ملازمة النص ومعايشته ، محاولاً استنباطه بشكل موحد ومؤثر .

إذ يقتبس واحد من الدارسين المعاصرين تعريف المفارقة من (معجم اوكسفورد المختصر) إذ يقول :

"المفارقة هي إما ان يعبر المرء عن معناه بلغة توحى بما يناقض هذا المعنى او يخالفه ، ولا سيما بان يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر ، اذ يستخدم لهجة تدل على المدح ، ولكن بقصد السخرية او التهكم ، واما هي حدوث حدث او ظرف مرغوب فيه ، ولكن في وقت غير مناسب البتة ، كما لو كان في حدوثه في ذلك الوقت سخريه من فكرة ملائمة للأشياء ، واما هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنياً وموجهاً لجمهور خاص مميز ، ومعنى آخر ظاهراً موجهاً للأشخاص المخاطبين" (١١) .

في مقابل هذا التعريف تؤكد المفارقة على الشكل اللغوي ، بوصفها معطى ذا طبيعة تناقضية بين ادعاء المتكلم والتغيير الذي حصل عبر نبرة الكلام ، تؤدي في النهاية إلى حضور المتناقضات . اما في موضع آخر من التعريف تؤشر المفارقة بوصفها مشهداً او حدثاً يحدث في وقت غير مناسب . اذ يكون الشخص جاهلاً بظروفية الواقع ، وبالتالي يتصرف الشخص بشكل معاكس . وفي نهاية التعريف يؤشر ان المعنى المفارقة يفترض مستويين من التلقي الأول (خاص) وهم يدرك مقاصد المتكلم الباطنية . والثاني (عام) يقف عند معنى الظاهر (١٢).

ومع توالي العصور بعد عصر النهضة ، تطورت مفاهيم المفارقة وتعددت أنواعها تبعاً لاختلاف الرؤى والمنطلقات الفلسفية فعدت المفارقة تقانة تستهوي الكتاب والشعراء فهي إحدى صور الإبداع الأدبي إذ تشتغل على خلخلة التوقع وخرق قانون المنطق مما يحدث الإدهاش ويثير الترقب لدى القارئ، وهي لغة شاعرة " تقوم على عبارة تبدو متناقضة في ظاهرها، غير أنها بعد الفحص والتأمل تبدو ذات حظ لا بأس به من الحقيقة (١٣) وقد وصفها الدارسون بأنها ظاهرة من ظواهر اللغة، شغلتهم قديماً وحديثاً، وفيها يعبر الكاتب عن موقف ما على نحو مختلف عما يستلزمه ذلك الموقف (١٤)، فبتعبير دي - سي ميويك " فن قول شيء دون ان يقال بشكل فعلي" (١٥). وهذا التناقض الظاهري يوهم المتلقي بأنه يواجه موقفاً غير متسق مما يدعوه الى إنعام النظر فيه، محاولاً سبر غوره لينكشف له عالم من المفارقة والغرابية" (١٦)، كما ان هذا التناقض يقدم آلية تعين المبدع على الانفلات من دائرة المباشرة والبساطة والدخول في أفق الضبابية الجمالية والشفافية البعيدة (١٧)، وبصورة أخرى فان المفارقة معطى لغوي يتوفر فيه عدد من الأمور مثل التضاد والثنائيات اللغوية، التي تقدم خلاصة موازنة ومقارنة بين حالتين يقدمهما الكاتب في تضاد واختلاف، يلفتان النظر ويستشفان من النص وهذه الثنائيات تحمل دلالات في الموقف أو المضمون،

وتقع فيهما معان متعددة منها الهجاء المستور أو التوبيخ أو الازدراء أو الرياء والتصنع وتجريد الخصم من مميزاته على شكل هزلي، لذا فهي تضحكننا من جهة لكنها تتغرز في جدران أرواحنا تحريضاً من جهة أخرى، كما ان إيحائية المفارقة تزيد من إحساسنا بالأمر وتعمق من فهمنا للأشياء، وهي تتكئ على كثير من الأدوات والرموز التي تشارك في تبينها، ولا يمكن إدراكها تماماً إلا من خلال النصوص، وتتنوع المفارقة نسبة الى عمق الفكرة كالمفارقة البسيطة، التي تنكشف للقارئ بسهولة ويسر، ومفارقة معقدة تحتاج الى فهم عميق وتأمل متأن يصل بوساطته المتلقي الى الحقيقة التي أرادها الكاتب(١٨).

وظيفة المفارقة

للمفارقة وظيفة مهمة في العمل الأدبي . إذ شغلت النقاد والدارسين ، وقد بينوا ذلك فقال (فرويد) ان المفارقة وسيلة شديدة القرب من النكتة ، تحدث لذة كوميدية لدى السامع تخلصه من المكبوتات الداخلية(١٩) وشبه (ميويك) المفارقة باداة التوازن التي تعطي الحياة توازنها او سائرة بخط مستقيم . حينما تحمل على حمل الجد المفرط(٢٠) ويرى (كوته) ان المفارقة هي ذرة الملح التي وحدها تجعل الطعام مقبول المذاق(٢١).

ويذهب ناقد معاصر الى القول " ان عالماً بلا مفارقة اما ان يكون جنة دنيوية ، وفي هذه الحالة فان مثل هذه الجنة لا يمكن ان تقوم ، لعدم وجود ما يستفزها او يستثيرها ، واما ان يكون جحيماً دنيوياً لا يسفر ابداً عن وجهة ، وعالمنا يبدو من غير المحتمل ان يصير مجرد جنة دنيوية " (٢٢).

وتؤدي المفارقة وظيفة إصلاحية في الأساس ، فهي تشبه أداة التوازن التي تبقى للنص الأدبي بعداً جمالياً من خلال قراءته التي تتعدد بحسب طبيعة القارئ . عندما تركز على تناقضات النص وجعل المفارقة وسيلة كشفها وتعريفها .

العنوان

يعد " العنوان جزءاً من إستراتيجية النص، لان له وظيفة في تشكيل اللغة الشعرية وليس بوصفه مكملاً أو دالاً على النص ولكن بوصفه علامة لها بالنص علاقات اتصال أو انفصال " (٢٣) وهو " مقطع لغوي اقل من الجملة ، نصاً أو عملاً فنياً ، ويمكن النظر إليه من زاويتين : أ - ضمن السياق .

ب - خارج السياق(٢٤).

وعلى هذا " فالعنوان ليس كلمة عابرة توضع اعتباطاً ، بل يتم اختيارها أو اللجوء إليها بدوافع مختلفة وضغوط متفاوتة، فالكاتب حين يختار عنواناً لعمل ما ، فإنما يستجيب لقوة داخلية غامضة تملي عليه هذا الاختيار دون وعي منه، وهو قد يختار هذا العنوان أو ذاك بدوافع ثقافية، أو إيقاعية أو تركيبية تتصل ببنية النص أو تستدعي أصداً لعناوين خارجية أخرى، وأحداثاً بعيدة موحية" (٢٥) . وتختلف طرائق اختيار العنوان، فمنهم من يختاره قبل البدء بالكتابة ومنهم من يأتيه العنوان دون إنذار ولكن الشائع هو ان يأتي العنوان عندما يكتمل النص ، وقد يكون العنوان اسماً لشخصية الحدث البارزة أو المكان الذي تجري عليه أحداث القصة، وقد يأتي تعبيراً عن فكرة رئيسية كأن تكون نوعاً من الحب، أو شجرة ترمز الى شيء ما، أو غرفة في الطابق الأعلى(٢٦). ونجد المؤلف يبحث عن التشويق عبر استخدامه الألفاظ المتناقضة والتركيبات الغامضة الموحية أو تلك التي تداعب مشاعر القارئ أو تستفز أحاسيسه أو العناوين التي تجسد نظرة الكاتب الى الكون أو الطبيعة أو البشر، لذا غدا العنوان علامة لها مقوماتها الذاتية مثله مثل غيره من العلامات المنتجة للمسار الدلالي لتكوينه، ونحن نؤول النص والعنوان معاً ومن الممكن جداً ان يؤسس العنوان لشعرية من نوع ما إذ يثير مخيلة القارئ ويلقي به في مذاهب ومراتب شتى من التأويل، فيدخله في دوامته ويستفز كفاءة القارئ القرائية من خلال كفاءة العنوان الشعرية، والعنوان بما هو لحظة تأسيس، إما ان يؤسس لنصية شعرية أو لا يفعل ذلك أبداً(٢٧). والتميز الذي يحصل عليه العنوان

يتكون عبر تشكيله لسؤال إشكالي ينتظر حلاً من النص الذي يقوم هو الآخر بالإجابة عن هذا السؤال الإشكالي بإحالاته على مرجعية النص (٢٨).
ومن الطبيعي أن تتفاوت العنوانات في الإحالة عن مدلولات النص ، فمنها ما هو غامض ومعقد ، تكون دالته إشارة مرجعية لبعض مفاصل النص ، ومنها ما هو بسيط يباشر مدلوله بسهولة (٢٩) ومنها ما هو موهوم وخادع ، يكون دالته إشارة مغايرة لمقصد النص . حتى يؤسس العنوان مفارقتة ، فيجب عليه أن يعتمد على اللغة المتحايلة والمضللة . حينها يكون العنوان مفارقاً للنص .

مفارقة العنوان في قصص زكريا تامر

يتميز العنوان عند زكريا تامر بطاقة إيحائية معبرة، يحمل في مدلوله تشظياً يتغلغل في متن نصه القصصي، محدثاً مفارقة تنزاح الى معنى آخر غير ما يتراءى للقارئ عند الوهلة الأولى، ففي قصة (ربيع في الرماد) (٣٠)، يوحى العنوان بمفارقة، تنداح الى طبيعة المفردتين اللتين جمعنا في العنوان، ذلك أن للربيع دلالة الحياة بكل ما فيها من صور جمالية تنبض شرايينها بعناصر البناء والتكوين، وهي نقيض الرماد الذي يحمل دلالة الموت بما فيها من صور مرعبة ومخيفة، تنذر بالخراب الذي يصاحب جشع النار وغطرستها، لقد وضعنا زكريا تامر أمام صورتين لا انسجام بينهما إلا في عالمه، وإن قراءة أولى للعنوان تثير فينا الاندهاش الذي سعى إليه القاص، غير أن هذا الاندهاش ينسل من الذاكرة المخيلة رويدا رويدا مع قراءة القصة والتعرف على أحداثها، وانكشاف غموضها، فالحياة زاخرة بالمفارقات، وأولى تلك المفارقات أن الأغنياء والفقراء يتساوون في كثير من الأمور مع أن الأغنياء مهذبون لطفاء يجيدون دبلوماسية الحياة، والفقراء يقهقهون بخشونة في لحظات الفرح، ويكثرون من البصق، ويؤمنون بأنهم سيحلون ضيوفاً في الجنة، غير أنهم جميعاً يحملون أسماء وهم يحترمون الموتى ويشاركون في الجنازة، وجميعاً يقولون بصوت خاشع (بسم الله الرحمن الرحيم) ويتمتمون في ختام الطعام (الحمد لله رب العالمين). لقد أوجد زكريا تامر عبر ثنائية الفقر والغنى مفارقة تلاعب في مدلولاتها معبراً عن حالة من السخرية والسخط على الوضع الذي يعيشه الناس في مجتمعه، والمفارقة الثانية تكمن في قيام أهل المدينة بقتل الفتاة عندما تأثم، غير أن العشاق يتلاقون خلصة. وقد مثلت هذه المفارقات استنكاراً على الفقر وعلى الجهل بأسلوب تهكمي ساخر، غير أنها كانت تمهيداً لمفارقة أكبر تمثلت في عودة شهريار وشهرزاد الى المجتمع العربي بحلة جديدة وثوب آخر غير ذلك الذي كانوا عليه عندما كانوا ملوكاً، لقد عذبوا وجاعوا وتحملوا مرارة الحياة كأى متسولين يعيشان على هذه الأرض. وقد كشف المتن عن العلاقة التي بني عليها العنوان، فهو يمثل جيلين متناقضين تماماً، الأول يتنعم بعز الحرية ونعيم السلطان والثاني يقبع تحت فاقة الجوع وذل العبودية وهذا ما أراده زكريا تامر من عنوانه الذي اختاره لقصته.

وفي قصة أخرى تشكلت من مجموعة قصص قصيرة اختار لها عنواناً لا يحمل مفارقة مباشرة كما في ربيع في الرماد وإنما تأتي المفارقة من خلال تعارض العنوان الذي يحدث خلخلة في السنن المتعارف عليها في عملية التواصل، إذ أن كلمة (الأعداء) (٣١) التي هي عنوان قصته لا تعطي في مدلولها المباشر الا معنى العدو الذي يعادينا ويحاربنا ، غير أننا نجد العدو الذي كان يعنيه زكريا تامر شيئاً مختلفاً يسكن في ذاتنا ويرتدي وجوهنا ويحمل هويتنا وهنا جاءت المفارقة، لقد كان العدو هو الشرطي ابن البلد المكلف بحمايتها والمدينة التي كان يفترض بها أن تبسط جناحيها لتحتضن أبناءها بكل ودّ ومحبة، واللغة التي استخدمت بشكل مثالي لتحول الهزيمة الى نصر، في الكلام فقط، لقد تزاممت العناوين في قصة الأعداء لتعلن بشكل غرائبي اختلال الموازين وتغيرها فأصبحنا نحن أعداء أنفسنا بسبب ضعفنا وتخاذلنا، فـ " الحمد لله الذي خلقنا رجالاً نركض ساعة الخطر الى أمام الريح، فننجو ولا نهلك. والحمد لله الذي لم يخلقنا نساء نقعد في البيوت

فحرقنا قنابل الأعداء وكأنا الجوارب العتيقة. الحمد لله الذي لا يحمد سواه.. " (٣٢)، لقد شكل العنوان مع المتن مفارقة ساخرة تهكمية تعبر عن حالة تمرد على الحال الذي وضعنا أنفسنا فيه، وقد خلقت العناوين الفرعية نوعاً من تأكيد الفكرة وتعزيزها ففي عنوان قصتها الأولى (البداية) مثلت صورة الناس في بداية يومهم، وغالباً ما تكون البداية عنواناً للنشاط، بعد فترة النوم التي تريح الإنسان من تعب النهار غير أننا نفاجاً بالبداية في متن القصة وقد مثلت حالة من التذمر "عندئذ أفاق الناس من نومهم أسفين عابسي الوجوه" وفي (الأسرى) عنوان آخر ومفارقة متجددة مع كل صورة من صور المجتمع، فالأسرى في مجتمعنا (نحن)، لذا قررنا أن نكتب مايلي: " نحن الموقعين أدناه نلتمس من سيد الكون أن يرسل إلينا جيشاً من ملائكته مسلحاً بأحدث الأسلحة على أن يقيم على حدود البلاد ويقاوم الأعداء ولا يعاملنا كأسرى" (٣٣).

وفي عنوان قصته (إعدام الموت) (٣٤) نوع آخر من المفارقة يقوم على ما يمكن أن نسميه (تشكيل المشكل) هذه الثنائية القائمة على التآلف وليس التغاير أو التضاد تثير فينا نوعاً من الاستغراب، ذلك أنه يقضي على توقعاتنا التي بنيناها على مدلولات مطروقة، ولو كان زكريا تامر قد عناها لما أحدثت مفارقة، ولا شكلت خرقاً لما هو مألوف عندنا، إذ أن للموت دلالات متعددة منها الفقر والخيانة والجبن وغير ذلك، ومن الممكن جداً إعدام كل أولئك فنعدم الموت الذي يتربع على صفحات ذاكرتنا، غير أننا نفاجاً بزكريا تامر لعدم الموت نفسه بأمر من هارون الرشيد انتقاماً لموت ولده، وبتنفيذ من أبي نواس الذي يخدع الخليفة ويأتي بشخص فقير يتهمه بأنه الموت فيعدم الفقير ويشعر الخليفة بارتياح شديد، لكن الموت مازال يحصد أرواح الناس، وهذا الأمر يزيد من حيرة الخليفة التي تتلاشى بخدعة أخرى من أبي نواس بعدما يخبره أن الموت الأب قد مات لكنه ترك أولاداً وأحفاداً أخذوا مكانه وانتشروا يزرعون الموت في كل مكان، وأياً كانت دلالة العنوان إلا أنها تركت مفارقة عجيبة تمثلت في التآلف بين لفظتين تمنع القرينة من اجتماعهما، كما أنها انتهت إلى نقيض ما أراده العنوان فالموت أكبر من أن ينتهي.

وفي قصة (اليوم الأخير للوسواس الخناس) (٣٥)، نجد مفارقة تتشكل من معارضتها لحقائق دينية ترى أن الشيطان منظر من الله سبحانه وتعالى، وهو مؤخر في وفاته إلى أجل معلوم يمثل نهاية الدنيا، يتشكل العنوان من مقطعين رئيسيين يحتوي كل مقطع على لفظتين (اليوم الأخير) و(الوسواس الخناس) ويوحى العنوان بأسئلة متعددة تدور في ذهن القارئ. هل أن اليوم الأخير يعني نهاية العالم بدلالة ما ذكره القرآن الكريم والعرف السائد بأن الشيطان باق على قيد الحياة إلى اليوم الأخير من الدنيا؟ هل أن إبليس فقد تأثيره على الناس بعدما أصبحوا على درجة من الإيمان تبعدهم عن سيطرته عملاً بالآية القرآنية (الا عبادنا المخلصين)؟

وأسئلة كثيرة يمكن أن يتخيلها القارئ وهو يمر على فضاء المتن عبر بوابة العنوان. وكل تلك الأسئلة ممكنة ولا تحدث مفارقة، غير أننا نفاجاً بدلالات أخر يفسرها متن القصة وفيها تحدث المفارقة. لقد تغيرت المعادلة ولم يعد إبليس هو الجاني والناس مجني عليهم، وقد القي القبض عليه بينما يتهدد لشراء بعض الحاجيات التي تحتاجها أسرته، وعبثاً حاول في إقناعهم بأنه ليس إبليس الذي كان في مخيلتهم، وأقيمت له محكمة حكمت عليه بالإعدام بعدما شهد عليه أكثر الناس، فالأول منهم قتل لأن إبليس أغراه بالقتل، والأخر اغتصب فتاة بعدما وسوس له إبليس بذلك، والثالث كذب لأن إبليس قال له اكذب وجمل الكذب في عينه، وآخرون جعلوا الشيطان شماعة يضعون عليها فواحشهم، فكم من الجرائم ترتكب باسم إبليس أما الناس فهم أبرياء مخدوعون لا يفقهون من الأمر شيئاً. ولكي يعزز الكاتب الفكرة التي يريد توصيلها للقارئ ويعمق المفارقة أخفى شكل الإعدام، ليترك للناس تخمينهم عن موت إبليس.

وهناك من المفارقات التي تحصل بسبب تعارضها مع التاريخ كأن يستجلب الكاتب شخصية تاريخية فيضفي عليها سمة العصر فتتحول شخصية ثانية تحمل فكراً مغايراً وإيديولوجية تتعارض

تماماً مع تلك التي تحملها الشخصية الأولى، فنراه ينزع عن الشنفرى تصعلكه، ويعطي لموت عباس بن فرناس أسباباً أخرى غير الفشل الذي أدى الى وفاته ويستحضر كافور الإخشيدى بحلة جديدة، وأسماء أخرى كان لها حضورها التاريخي على مر الأجيال.

وفي قصته (عنتره النفطى) (٣٦) يشكل العنوان عبر لفظتيه مفارقة تتأتى من شخصية عنتره التي نالت من الشهرة عبر الحكايات التي حكيت عن بطولاته وأشعاره أكثر مما نالته الشخصيات الأخرى وقد أصبحت رمز الرجولة والشجاعة والمثل الذي يضرب بها دائماً، وبالمقابل أصبح النفط مادة الثراء الأولى في العالم لذا كان اختيار زكريا تامر للشخصية الأشهر مع مادة الثراء الأولى. لقد ترك عنتره سيفه، وحمل معه دفتر الشيكات، وبدلاً من أن يضع الخطط الحربية للدفاع عن قبيلته عبس نراه يفكر في عقد صفقات تجارية يشوبها الكثير من الشك في نزاهتها بعدما أصبح ديدنه الرشوة وشراء الذمم.

تشكل العنوان من اسمين يرتبطان ببعضهما لغوياً عن طريق الإضافة فالاسم (عنتره) مضاف إلى الاسم (النفطي) وهذه الإضافة أعطت تعريفاً جديداً لـ (عنتره) يزيح عن ذهن القارئ التعريف القديم المكتسب بذاته عبر علامتين، الأولى: كونه اسماً علمياً والثانية جاءت عبر تمتعها بشهرة تاريخية وصلت إلينا عبر كتب الأدب والحكايات الشعبية، وقد وظف زكريا تامر هذه الشهرة لإبراز خطابه بإتيان لفظة تتمتع بقوة معادلة لتلك الشهرة إذ لو ان زكريا تامر اختار اسماً من عموم الأسماء لا يمتلك أية شهرة لفقدت لفظة (النفطي) قوتها وكان الأمر طبيعياً، كون الحياة تضم في متونها أناساً يتصفون بالنبل وآخرين بالشر،

إن لفظتي (عنتره - النفطي) لا تتعارضان فحسب وإنما تدخلان في صراع مستمر على مدى الحياة، صراعاً يرفضه التاريخ ويقبله الحاضر الأمر الذي شكل مفارقة قائمة على وجود اللفظتين معا وقد تسبب ذلك في خلق نوع من الاندهاش الذي يبني لبناته صراع قائم في كل صور الحياة بين شخصية بطولية وشخصية مادية مشكلة تناقضاً أيديولوجياً بين الشخصيتين، وقد جاء متن النص مفسراً لهذه المعادلة بعدما طرح زكريا تامر فكرة التغير الحاصل في شخصية عنتره الذي باع سيفه وترك حبه لعبله يقابله في ذلك رصيد في البنوك وحديث بالعملات الأجنبية وانتظار مكالمة تخبره بصفحة ناجحة. لقد مثلت شخصية عنتره مرموزاً لشخصية الإنسان العربي الذي ما عادت تستهويه البطولة وتشغله العواطف بقدر ما تستهويه أخبار النفط والعملات الأجنبية لتكون النتيجة ضياع المبادئ التي نبعت وأينعت وأزهرت في الصحراء العربية بعدما قتلت برصاص الصناعة النفطية الأجنبية (٣٧).

الخاتمة

شغلت المفارقة حيزاً كبيراً في قصص زكريا تامر، ولم تقتصر تلك المفارقة على المتن فقط وإنما كان للعنوان بوصفه عتبة مهمة من عتبات النص دور كبير في تشكيل تلك المفارقة، وقد تنوع شكل المفارقة في عناوين زكريا تامر عبر أساليب ثلاثة وهي :-

١ - اعتمد زكريا تامر في اختيار عنوانه على الثنائيات عن طريق استخدام الكلمة ونقيضها، وقد لا يكون هذا النقيض مباشراً وإنما يستشف ذلك من دلالة اللفظين اللذين يحملانها، ومن ذلك قصة (ربيع في الرماد) فالربيع لا يحمل في دلالاته المباشرة صفة مناقضة للرماد، غير أن ما يحمله الربيع من مدلولات تناقض مدلولات الرماد.

٢ - ونجد في عناوين زكريا تامر مفارقة تقوم على تغاير بينها وبين ما هو سائد في الشرع والأعراف، ومثال ذلك قصته (اليوم الأخير للخناس الوسواس)، وقد توضحت هذه المغايرة في المتن فزكريا تامر يجعل إبليس مجنياً عليه وليس الجاني وقد البسه الناس معاطف ذنوبهم ورداء فواحشهم، ويحكم عليه عبر القصة بالإعدام ويعدم بينما هو في الحقيقة منظر الى يوم القيامة.

٣ - ومن المفارقات التي اعتمدها زكريا تامر في اختياره للعناوين أنه يستحضر شخصيات تاريخية ويعطيها أدوارا غير ما عرفت به، فيأتي بشخصية عنتره الفارس العربي الذي اشتهر بحبه للفروسية ولابنة عمه عبلة ويضفي عليها صفة أخرى هي صفة الإنسان المادي الذي تغريه الأموال فلم يعد يفكر الا بكيفية جمع تلك الأموال وبرصيده المودع بالبنوك، وأكثر من ذلك نجده يتنكر من حبه لعبلة ، ومن الشخصيات الأخرى التي يستحضرها (عباس بن فرناس، عمر المختار ، جنكيز خان، الشنفرى وغيرها) وكل تلك الأسماء قد جاءت متصدرة العناوين.

لقد أراد زكريا تامر من خلق المفارقة وجعلها ديدن قصصه لاسيما العنوان منها التعبير عن سخطه من الواقع العربي الأليم وإبداء السخرية منه لما آل إليه الواقع العربي من ضعف واستكانة، وجهل وحب المال حتى لو كان على حساب وطنه والناس، وأراد أن تكون قصصه صرخة بوجه كل ما يؤخر نهوض أمته، ويجعلها أمة إنسانية متحضرة تعيد لنفسها مجدها وتألّفها عبر قيمها التي نشأت عليها مع التفاعل الحضاري والتطور الحاصل في العالم.

وأخيرا إن ما أردته من كتابة البحث عن زكريا تامر لاسيما عناوين قصصه هو التعرف على كيفية استخدام الكاتب لهذه العتبة المهمة من عتبات النص، فضلا عن حب الدخول الى عالم زكريا تامر المليء بالمفاجآت والغرائب، وإني لأرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في مسعاي، والحمد لله على منه وفضله.

الهوامش

- ١ . النور في اليوم العاشر ، زكريا تامر ، منشورات دار الآداب ، بيروت - لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨١ : ص ٢ .
- ٢ . زكريا تامر براءة الحلم الطفولي وتجربة فقدت هويتها ، نزار نجار ، الموقف الأدبي ، العدد ٧٦٦ ، ٧ / ٢٠٠١ . www.awu-dam.com
- ٣ . مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن ، د.ماجدة حمود ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٠ : ٧٢ .
- ٤ . شعرية النص في خطاب زكريا تامر القصي، بشار إبراهيم نايف،(أطروحة دكتوراه) بإشراف د. عبد الستار عبدالله، كلية التربية- جامعة الموصل، ٢٠٠٦، ٥ .
- ٥ . الصحاح ، الجوهري اعتنى به خليل مأمون : ص ٨٠٩ .
- ٦ . المصباح المنير ، الفيومي : ص ٢٧٩ .
- ٧ . المفارقة الروائية ، صالح العبيدي : ص ١٢ .
- ٨ . المفارقة في كافورات المتنبي ، أمل نصير : ص ٩ .
- ٩ . المفارقة وصفاتها ، ميويك ، ص ٢٧ .
- ١٠ . المفارقة ، نبيلة ابراهيم ، ص ١٣٢ .
- ١١ . المفارقة والادب دراسات في النظرية التطبيق ، د. خالد سليمان ، ط ١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان - الاردن سنة ١٩٩٩ : ص ١٤ .
- ١٢ . المفارقة الروائية : ص ١٥ .
- ١٣ . فضاءات شعرية (دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل) ، د.سامح الرواشدة ، المركز القومي للنشر ، اربد - الأردن ، ١٩٩٩ : ص ٣ .
- ١٤ . في النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى ، ط ١ ، عمان- الأردن سنة ١٩٧٩ : ص ٦١ .
- ١٥ . المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك ، ترجمة ، عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون للطباعة والنشر ، دار الحرية ، بغداد - العراق ، موسوعة المصطلح النقدي ، ١٩٧٧ : ص ٢٩ .
- ١٦ . المصدر نفسه : ص ٣ .
- ١٧ . المصدر نفسه : ص ٣ .
- ١٨ . شعرية النص في خطاب زكريا تامر القصي، بشار إبراهيم نايف،(أطروحة دكتوراه)، كلية التربية- جامعة الموصل، ٢٠٠٦ : ص ٥ .
- ١٩ . المفارقة والادب (دراسات في النظرية والتطبيق) : ص ١٧ .
- ٢٠ . المفارقة وصفاتها : ص ٢٣ .
- ٢١ . المصدر نفسه : ص ١٦ .

٢٢. المفارقة والأدب (دراسات في النظرية والتطبيق) : ص ٥٧ .
٢٣. سيمياء العنوان ، دبسم قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠٠١ : ص ٥٧ .
٢٤. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة دبسم قطوس ، دار الكتب اللبناني، بيروت- لبنان ١٩٨٥ : ص ١٥٠ .
٢٥. الدلالة المرئية(قراءات في شعرية القصيدة الحديثة)، علي جعفر العلق ، ط١ ، دار الشروق عمان ٢٠٠٢ : ص ٥ .
٢٦. فن كتابة الرواية ، ديان دوات فاير ، ترجمة: عبد الستار جواد، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، ط١ ، ١٩٨٨ : ص ١٠٧ .
٢٧. سيمياء العنوان ، دبسم قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان - الاردن ، ط١ ، ٢٠٠١ : ص ٥٧ .
٢٨. المصدر نفسه: ص ٥٨ .
٢٩. ينظر : المفارقة الروائية (الرواية العربية نموذجاً) أطروحة تقدم بها صالح محمد عبد الله العبيدي الى كلية التربية جامعة الموصل ، ٢٠٠١ ، ص ١٣٦ .
٣٠. ربيع في الرماد ، زكريا تامر : ص ٦ .
٣١. النمرور في اليوم العاشر، زكريا تامر : ص ٥ .
٣٢. المصدر نفسه: ص ٧ .
٣٣. المصدر نفسه: ص ٦ .
٣٤. نداء نوح ، زكريا تامر : ص ٣٩ .
٣٥. المصدر نفسه: ص ٩ .
٣٦. المصدر نفسه: ص ١٠٧ .
٣٧. شعرية النص في خطاب زكريا تامر القصصي، بشار إبراهيم ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية - جامعة الموصل، ٢٠٠٦: ص ١٢٢

المصادر والمراجع

- * الدلالة المرئية(قراءات في شعرية القصيدة الحديثة)، علي جعفر العلق ، ط١ ، دار الشروق عمان ٢٠٠٢
- * ربيع في الرماد، دار رياض الرئيس للكتب والنشر، ط٤ ، ٢٠٠١ ، بيروت - لبنان
- * زكريا تامر ، براءة الحلم الطفولي وتجربة فقدت هويتها ، نزار نجار ، الموقف الأدبي، ع ٧٦٦ ، ٧ / ٧ / ٢٠٠١ . www.awu-dam.com
- * سيمياء العنوان ، دبسم قطوس ، وزارة الثقافة ، عمان - الأردن ، ط١ ، ٢٠٠١
- * شعرية النص في خطاب زكريا تامر القصصي، بشار إبراهيم نايف،(أطروحة دكتوراه) بإشراف د. عبد الستار عبدالله، كية التربية- جامعة الموصل، ٢٠٠٦
- * فضاءات شعرية (دراسة نقدية في ديوان أمل دنقل) ، دبسم الرواشدة ، المركز القومي للنشر ، اربد - الأردن ، ١٩٩٩ .
- * فن كتابة الرواية ، ديان دوات فاير ، ترجمة: عبد الستار جواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد - العراق ، ط١ ، ١٩٨٨ ،
- * في النقد الحديث ، نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى ، ط١ ، عمان- الأردن سنة ١٩٧٩: ص ٦١ .
- * المصباح المنير ، العلامة احمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، دار الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .
- * معجم الصحاح ، الامام اسماعيل بن حماد الجوهري ، اعتنى به خليل مأمون ، دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٥ .
- * معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة دبسم قطوس ، دار الكتب اللبناني، بيروت- لبنان ١٩٨٥ .
- * المفارقة والادب دراسات في النظرية التطبيق ، د. خالد سليمان ، ط١ ، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان - الاردن سنة ١٩٩٩ .
- * المفارقة وصفاتها ، دي سي ميويك ، ترجمة : عبدالواحد لؤلؤة ، دار المأمون للطباعة والنشر ، دار الحرية ، بغداد - العراق ، موسوعة المصطلح النقدي ، ١٩٧٧ .
- * مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن ، د. ماجدة حمود ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق - سوريا ، ٢٠٠٠
- * نداء نوح ، زكريا تامر ، دار رياض الرئيس للكتب والنشر، ط٢ ، ٢٠٠١
- * النمرور في اليوم العاشر ، زكريا تامر ، منشورات دار الآداب ، بيروت - لبنان ، ط٢ ، ١٩٨١

Discrepancy of Tihe in Zakaria thamirs stooies**Dr. Arshad yusif Abbas****Instructor****College of Education / Kirkuk University****Abstract**

Paradox is a linguistic term . It opens the way for the writer to get into the literary text world . It has many furniture that differ from text to another . It has been viewed as an active key in the literary text .Where it would be difficult to realize the nature of the literary text without understanding Paradox . The title includes debarring the nature of text through which Paradox adds a feature with the linguistic text to raise smile and irony .